الرأس الكبير

محمود سالم

الرأس الكبير

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الرأس الكبير

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٥٩٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
وفجأة ... سمعوا صوتًا ... لفت أنظارهم!	١١
صراع في الأعماق!	١٧
شيطان في مأزق	٢٣
الشياطين يقومون بالحراسة!	٢٩
متى تكون الضربة الأخيرة؟	٣٥
مفاجأة غير متوقعة!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لُبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فِلَسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقتَه أحد!

وفجأة ... سمعوا صوتًا ... لفت أنظارهم!

وضع «أحمد» الجريدة التي كان يقرؤها، ثم قال: لقد انتهى النصف الأول من المغامرة، وبقي الجزء الثاني، وهو الأهم.

مصباح: لقد قرأت حديثًا صحفيًّا مع الثري اليوناني «زوس» يبدي فيه سروره البالغ لأن ناقلته قد مرت بسلام ولأول مرة، في منطقة الجزر.

بو عمير: سوف يظل «زوس» مسرورًا، وذلك عندما ننتهي من أمر القاعدة البحرية العائمة، والتي تخرج منها زوارق الطوربيد، التي تنسف الناقلات ...

هز «باسم» رأسه وقال: نعم؛ لقد فوتنا الفرصة على زورق الطوربيد، وأصبناه إصابة بالغة ... إنني أعتقد أن هذه العصابة التي تقوم بإغراق الناقلات لشركة «زوس» إما أنها على خلاف معه ...

أسرع «أحمد» يقول — قبل أن يكمل «باسم» جملته: أو أنها على اتفاق معه.

قال «باسم»: هذا ما كنت سأقوله، ففي كلتا الحالتين، تكون العصابة مستفيدة.

صمت الشياطين قليلًا، كان كل منهم يفكر في المغامرة التي انتهت بنجاح ... وأعطت الفرصة للناقلة الضخمة أن تمر، ولأول مرة في منطقة جزر «أزورس»، دون أن يصيبها ضرر، فقد ارتفعت في الفترة الأخيرة شكوى شركات التأمين من أنها تدفع مبالغ ضخمة، لشركة «أزورس» للنقل البحري؛ التي تؤمن على ناقلاتها، ثم ... تكرر نسف هذه الناقلات، وتعددت حوادث الانفجار في أكثر من مكان.

وكان رقم «صفر» قد عقد اجتماعًا سريعًا للشياطين، وقدم لهم المعلومات، وبسرعة طاروا إلى «البرتغال»، حيث انطلقوا لتنفيذ أوامر رقم «صفر». وكان «خالد» قد اختفى لفترة، ثم ظهر مرة أخرى، وقد استطاع أن يعمل في شركة «أزورس» للنقل، واستطاع أن يكسب ثقة كابتن «بال»، قائد الرحلات البحرية والرجل الثاني بعد «زوس» صاحب شركة النقل.

قال «باسم»: لقد أثبتنا في المغامرة الأخيرة أن هناك عصابة ... لكن ترى أين يكون مقرها ... المحيط الأطلنطي، حيث تقف القاعدة البحرية، أم أن لها مقرًّا آخر على سطح الأرض؟

لم يُجِبْ أحد بسرعة، لكن «أحمد» فكَّر قليلًا ثم رد قائلًا: أعتقد أننا سوف نعرف الجواب الصحيح، عندما ننتهي من القاعدة، فإما أن الأوامر ... تصدر من داخلها ... فتصبح هي مركز القيادة، وإما أنها تتلقى الأوامر من خارجها وهذا يعني أن مركز القيادة على الأرض.

تساءل «بو عمير»: هل العصابة لها علاقة بـ «زوس» أم أنها على خلاف معه؟! هذا ما يحيرني.

قبل أن ينطق أحد بكلمة، كانت هناك رسالة يستقبلها جهاز الاستقبال. أسرع «أحمد» إلى الجهاز، وبدأ في تلقي الرسالة. كانت الرسالة من «خالد»: «أشكر «ش. ك. س» لقد أعطيتني الفرصة لرحلة ممتعة. كل شيء على ما يرام. نقترب من النهاية. الكابتن «بال» يحييكم. انتظروا رسالة أخرى.»

ابتسم «أحمد» وهو يقرأ جملة «الكابتن «بال» يحييكم»، ثم نقل الرسالة إلى الشياطين، فقال «باسم»: لقد نجح «خالد» تمامًا في كسب صداقة الكابتن «بال».

بو عمير: هل نتحرك الآن؟

أحمد: لا أظن أننا يمكن أن نتحرك الآن، فما زلنا في انتظار رسالة رقم «صفر» ...

لم يكد «أحمد» ينتهي من جملته، حتى كان جهاز الاستقبال يدق، فقال «مصباح»: لا بد أنها رسالة رقم «صفر» ...

أسرع «أحمد» إلى الجهاز، وبدأ في تلقي الرسالة: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»، القافلة تتحرك إلى خط ٣٠ ... الأسماك الصغيرة كثيرة. المهم سمكة القرش. القافلة هي الرحلة الأولى. الله يوفقكم ...»

نقل «أحمد» الرسالة إلى الشياطين، فقال «بو عمير» على الفور: إذن، يجب أن نتحرك سريعًا ...

مصباح: فلنرسل رسالة إلى «خالد» أولًا، ثم نبدأ التحرك ...

ولكن لم يتحرك أحد، وظلوا صامتين للحظات. أخيرًا قال «أحمد»: «خالد» ليس في مكان أمين، أخشى أن نكشفه لو أننا أرسلنا الرسالة. إن أمامنا يومًا بكامله حتى نصل إلى خط عرض ٣٠، حيث تقف القاعدة البحرية، في نفس الوقت يكون «خالد» قد وصل إلى أمريكا. وفي هذه الحالة، يمكن أن نرسل إليه ما نشاء ...

صمت قليلًا، ثم قال: الآن، يمكن أن نستعد وسوف أتصل بالرقم السري، حتى يكون زورقنا مُعدًّا ...

عندما تحرك «أحمد» ليتصل بالرقم السري، حيث عميل رقم «صفر»، كان الشياطين يبدلون ثيابهم في انتظار أن يغادروا المقر السري في «لشبونة» ... حيث ينطلقون إلى مياه المحيط.

رفع «أحمد» سماعة التليفون، ثم ضغط عدة أزرار بأرقام تليفون العميل، لحظة، ثم سمع صوته، فأبلغه تحيات الشياطين، ثم قال: سوف نبحر في مدى نصف ساعة، نرجو أن يكون الزورق معدًّا ...

قال العميل: الزورق جاهز منذ أمس، لقد وصلتنا التعليمات من رقم «صفر». هل هناك شيء آخر؟

قال «أحمد»: نشكرك ...

عندما وضع السماعة، كان الشياطين في انتظاره، فنظر في ساعة يده، ثم قال: لا يزال الوقت أمامنا، نريد أن نبحر في الليل، حتى لا نَلفِت نظرَ أحد ...

ألقى «بو عمير» نظرة على النافذة المفتوحة، ثم قال: الدنيا بدأت تُظْلِم. نستطيع أن نشرب كوبًا من الشاي، ثم ننطلق ...

وافق الشياطين، فأسرع «بو عمير» إلى المطبخ، لإعداد الشاي، بينما جلس الشياطين، يقطعون الوقت. قال «باسم»: لقد انقطعت أخبار الانفجارات في شرقي آسيا ...

مصباح: من الضروري أن مغامرتنا الأخيرة كان لها رد فعل قوي على العصابة. فهي تخشى أن تنكشف، خصوصًا وأنها تعمل بأسلوب غريب ...

أضاف «أحمد»: أو أن «زوس» قد أصدر أوامره ...

نظر له «مصباح» لحظة ثم تساءل: ماذا تعني؟

أحمد: إنها مجرد استنتاجات، قد لا تكون صحيحة؛ فقط، لنضعها في الحساب ...

مصباح: أنت و«باسم» متفقان على وجهة نظر واحدة، ويبدو أنها صحيحة؛ إما في الخلاف، أو في الاتفاق ...

باسم: أتمنى أن تكون صحيحة، إنها سوف توفر علينا جهودًا ضخمة ...

دخل «بو عمير» يحمل صينية الشاي، فأخذ كلٌّ منهم كوبه. ولَفَّهم الصمت جميعًا، حتى لم يكن يسمع سوى صوت رشفات الشاي، حتى انتهوا من شربه، وبعد لحظات كانوا يغادرون المقر السري في «لشبونة».

وقفوا على رصيف الشارع، ينتظرون «تاكسيًا»، غير أن «أحمد» قال: هيا لنمشيَ قليلًا.

تحرك الشياطين على رصيف الشارع، وكانت الحركة هادئة في هذا الجزء النائي من مدينة «لشبونة»، وكان عليهم أن يقطعوا المدينة إلى طرَفها الآخر، حيث يقفون على شاطئ المحيط، وحيث ينتظرهم الزورق هناك، للانطلاق إلى مغامرتهم.

ابتعدوا عن المقر السري، ومن بعيد ظهرت أضواء كشافات أحد «التاكسيات» بعلامته المميزة، فرفع «أحمد» يده، وظلت أضواء الكشافات تقترب، حتى غمرهم الضوء ثم اختفى، وتوقف التاكسي أمامهم، وعندما أغلقوا الأبواب، حدد «أحمد» للسائق المكان الذي سينزلون فيه، فهز السائق رأسه ثم قال: أظن أنكم سوف تسهرون في كازينو «لشبونة بالاس»، إنه كازينو من الدرجة الأولى ولا يسهر فيه إلا الأثرياء فقط!

قال «أحمد» على الفور: نعم ...

استمر السائق في حديثه: إنه يقدم برنامجًا ممتازًا، ويستدعي الفِرق الفنية الأجنبية من أنحاء العالم. ومع ذلك، فهو ليس مرتفع الأسعار، كما نسمع عن كازينوهات «باريس» أو «نيويورك».

لم يرد أحد من الشياطين، فقد كانوا يستمعون إلى السائق، حتى يقطعوا الوقت، فالطريق طويل، وكان السائق يمشي متمهلًا، ولم يلفت أحد من الشياطين نظره إلى ذلك، فما دام الرجل قد ظن أنهم سوف يسهرون في «لشبونة بالاس» فما عليهم إلا أن يتركوه في ظنه.

قال بعد لحظة: غير أن هناك أماكن أخرى غير «لشبونة بالاس»، هناك «الأمسادور»، و«التنين» ... «والشاطئ» ... وكلها كازينوهات طيبة، إلا أنها رخيصة الثمن ...

لم يكن هناك مفرٌّ من الحديث معه، فقال «أحمد»، وكان يجلس بجواره: وأين يسهر البحارة هنا؟ ...

أجاب السائق بسرعة: آه، لا بد أنكم من هواة البحر، ثم نظر إلى «أحمد» نظرة سريعة، ثم قال: وبما أنكم تعملون في الصيد ... من أي مكان أنتم؟

قال «أحمد»: نحن من «المغرب».

السائق: يقولون إن بلادكم جميلة ... وصمت لحظة، ثم قال: إن البحارة هنا يفضلون السهر في كازينو «الشاطئ». إنهم يستطيعون أن يمرحوا، وأن يغنوا كما يريدون. وضحك ضحكة سريعة، ثم قال: خصوصًا آخر الليل ...

انحرف بالسيارة يمينًا، فشعر الشياطين بهواء المحيط قويًّا، وعلق السائق: هل تشمون رائحة الماء؟ ... ثم استنشق الهواء بقوة، وهو يقول: إنه هواء نظيف. ثم ضحك مرة أخرى وقال: إنه مغسول بمياه المحيط.

كانت السيارة تقترب من الشاطئ في هدوء، وبدأ صوت الموج يقترب، كان الهدوء يلف كل شيء، فقد كان المكان بعيدًا عن الميناء حيث تكثر الحركة.

ومن جديد بدأ السائق يتحدث ... حتى إن «أحمد» قاطعه قائلًا: هل يمكن أن نسرع قليلًا؟ ... وفهم السائق أنهم راغبون في التخلص من الاستماع إلى حديثه، فوضع قدمه على بدال السرعة، فانطلقت السيارة، لكن ... يبدو أنه سائق ثرثار، فلم يستطع أن يسكت طويلًا، فسأل: هل أوصلكم إلى «لشبونة بالاس»، أو إلى «الشاطئ»؟ ...

فهم «أحمد» المعنى الأخير الذي قصده، فحدد بالضبط «شاطئ المحيط»، فابتسم الرجل، وقال: إنك شاب ذكي ...

انحرفت السيارة مرة أخرى إلى اليسار، وسمع صوت ارتطام الموج بالشاطئ، فأشار «أحمد» للسائق أن يتوقف ... فتوقف فجأة، حتى إنهم اهتزوا بعنف داخل السيارة. فتح «أحمد» الباب بسرعة ثم غادر السيارة، ودفع ما أشار إليه عداد التاكسي، وفي نفس اللحظة كان الشياطين قد أصبحوا في الشارع. انحنى «أحمد» يتحدث إلى السائق قائلًا: معذرة؛ كنا نتمنى أن ندعوك للسهرة معنا ... ثم انصرف، قبل أن يبدأ السائق الكلام، خوفًا من أن يستمر في ثرثرته. ظلوا في أماكنهم ينظرون إلى المحيط الداكن اللون، في انتظار أن يختفي التاكسي، الذي كان يبتعد في بطء. وعندما اختفى تمامًا، قال «أحمد»: إنه رجل مُسلٍّ.

أخذوا يسيرون على الشاطئ، متجهين إلى حيث يرسو الزورق. كان لا يبتعد عنهم كثيرًا، وكان الشارع خاليًا من المارة، وضوء المصابيح الكهربية يضيء الأسفلت الأسود اللامع بتأثير رذاذ الموج ... شعر «باسم» ببرودة خفيفة، غير أنه لم يعلن ذلك، وإن كان قد ابتسم عندما قال «بو عمير»: يبدو أن الشتاء في الطريق!

اقتربوا من الزورق الذي كان يعلو ويهبط مع الموج، وكان هو نفس الزورق الذي شهد معهم المغامرة السابقة.

اقترب «أحمد» من الحبل الذي يثبت الزورق إلى الشاطئ، ثم جذبه قليلًا، فاقترب الزورق، حتى أصبح من السهل القفز إليه، فقفز «باسم» أولًا، ثم تلاه «بو عمير» ... كان «أحمد» لا يزال يجذب الحبل، عندئذ قفز «مصباح» ... وفي نفس اللحظة، سمعوا صوتًا، استرعى انتباههم جميعًا.

صراع في الأعماق!

كان الصوت يأتي من الظلام الدامس، فلم يظهر مصدره، بدأت أعينهم تجري على الشاطئ الطويل، لعل أحدًا يظهر، إلا أن أحدًا لم يكن هناك، وظل «أحمد» ممسكًا بالحبل، بينما كان بقية الشياطين يقفون في قلب الزورق. وتردد الصوت من جديد، فحدد المكان، وفي الحال اتجهت أنظارهم إلى مصدر الصوت. كان أسفل الرصيف الحجري الذي يحمي المدينة من موج المحيط.

قال الصوت الذي اقترب، وإن كان مصدره لم يظهر جيدًا: إلى أين في هذه الساعة، والموج يرتفع مع مرور الساعات؟

قال «أحمد»: نحن في رحلة بحرية ...

الصوت: في هذا الوقت؟!

أحمد: نعم ...

ظهر صاحب الصوت، كان يلبس ملابس سوداء ثقيلة، حتى لم يكن يظهر سوى وجهه فقط، وقال: هل معكم تصاريح؟

نظر «أحمد» إلى «مصباح» وقال: أظن أنها في التابلوه الأمامي للزورق! كان يقولها بلهجة من لا يهمه الأمر، حتى لا يلفت نظر الرجل. وعندما اختفى «مصباح» لإحضار التصاريح سأل «أحمد»: هي يمكن أن أتعرف إليك؟

قال الرجل: إنني الحارس الليلي ...

عاد «مصباح» بحقيبة جلدية صغيرة، فقدمها لـ «أحمد» اقترب الحارس أكثر، وأضاء بطارية صغيرة، يساعد بها على رؤية التصاريح، وقلب «أحمد» بعض الأوراق، ثم قدم للحارس عددًا منها. قرأها الحارس بسرعة، ثم هز رأسه وهو يعيد الأوراق ويقول: أنصحكم ألا تبحروا الليلة، إن الجو غير مضمون ...

شكره «أحمد» ثم فكَّ الحبل، وقفز إلى الزورق، بينما كان «باسم» قد أدار الموتور. وفي لحظات، كان الزورق يشق الموج المرتفع إلى قلب الليل، كان الزورق يهتز بشدة، حتى إن «مصباح» قال: إننا لعبة طيبة بين أحضان الموج ... لم يرد أحد من الشياطين. كان «باسم» يجلس إلى عجلة القيادة، وأمامه البوصلة، وقد تحدد الاتجاه عليها، نظر «أحمد» إلى عداد السرعة، ثم قال بعد لحظة: نحتاج إلى تقسيم الوقت ...

قال «باسم»: سوف أبدأ أنا الآن، ومعي «بو عمير» ...

رد «مصباح»: إذن، علينا أن ننام مباشرة ...

نظر «أحمد» في ساعته، ثم قال: أربع ساعات ... إنها تكفي لأن ينال الإنسان قسطًا معقولًا من الراحة ...

تحرك هو و«مصباح» إلى صالون الزورق، ثم ألقى كل منهما نفسه فوق أريكة، في نفس الوقت، كان «بو عمير» يأخذ مكانه بجوار «باسم». لم يكن يظهر أمامهما شيء، فقد كان الليل شديد السواد، غير أن رادار الزورق كان يكشف الطريق، فلم يكن أمام الزورق ما يعوق انطلاقه، حتى هذه الساعة.

ارتفع الموج أكثر، وازداد هبوب الرياح، حتى إن «أحمد» لم يستطع النوم. فاقترب منهما في هدوء، ثم قال: يبدو أننا سوف نلاقي صعوبات في الطريق. إن هذه الأمواج لا تنبئ بخير. فقال «باسم» دون أن ينظر إليه: هل تقترح شيئًا؟

لم يُجِبْ «أحمد» مباشرة، غير أنه قال بعد فترة: أعتقد أنه ينبغي أن ننزل إلى الأعماق ...

لم يرد «باسم»، وظلت عيناه مثبتتين إلى الأمام، بينما الزورق، كان قد أصبح كالريشة وسط الرياح، وفجأة ظهر «مصباح» وهو يقول: النوم مستحيل الآن، لماذا لا ننزل إلى الأعماق؟

قال «بو عمير» مبتسمًا: حتى تستطيع النوم؟ ...

باسم: أظن أننا يجب أن نفعل ذلك!

ضغط «أحمد» عدة أزرار في تابلوه الزورق فبدأت سرعته تقل شيئًا فشيئًا، ثم بدأ يغوص في الماء، وكان عداد الغوص يسجل المسافة التي غاص إليها الزورق.

فجأة اهتز بشدة، ثم بدا أنه سيلف حول نفسه، فقال «أحمد» بسرعة، وهو يضغط نفس الأزرار: يبدو أن هناك دوامات شديدة في هذا العمق، يجب أن ننزل إلى القاع تمامًا.

أخذ الزورق ينزل شيئًا فشيئًا، حتى استقر في النهاية على أرض المحيط، فأوقف «باسم» الموتور، ثم جلس هادئًا صامتًا. لم يكن أحد ينطق بشيء، فلقد تعرض الزورق

لدوامة عنيفة عند نزوله أوشكت أن تحطمه، غير أن الموقف لم يستمر طويلًا. ففي الأعماق تكون الدوامات أقل أو منعدمة، لقربها من الأرض. فأدار «باسم» الموتور ثم انطلق بالزورق الذي ارتفع قليلًا، ثم تقدم.

كانت أضواء الزورق تكشف المساحة التي ينطلق فيها، بينما الرادار يكشف المسافات البعيدة، ولم يكن يسجل شيئًا. وكانت الأسماك تمر بجوار جسم الزورق بألوانها المختلفة، غير أن واحدة منها، لم تكن من الحجم الذي يعوق سير الزورق.

استسلم «أحمد» و«مصباح» للنوم، وكان إيقاع الموتور يساعدهما على ذلك.

قال «بو عمير»: لقد تأخرت رسالة خالد!

أجاب «باسم»: لا بد أن هناك شيئًا ما …

فجأة … ظهرت الدهشة على وجهه، عندما وقعت عيناه على شاشة الرادار؛ لقد كانت هناك مساحة سوداء كبيرة على الشاشة، لفتت نظر «بو عمير» إليها، فظل يحدق في الشاشة، بينما أبطأ «باسم» من سرعة الزورق.

كانوا يقتربون من تلك المساحة السوداء … حتى غطت الشاشة كلها، وأصبح واضحًا أن الزورق قد يصطدم بها. أوقف «باسم» الزورق ثم أضاء الكشافات العالية في مقدمته، فغمر الضوء المساحة الأمامية كلها، حتى بدت تفاصيل تلك الكتلة السوداء الضخمة. ظل «بو عمير» يحدق فيها، حتى قال: يبدو أنها إحدى الناقلات الغارقة! ثم تساءل: هل ننقذها؟

فكر «باسم» لحظة، ثم قال: لا أظن أننا سوف نتوقف هنا. إن رحلتنا طويلة، ويجب أن نستمر … وانحرف يمينًا، ثم انطلق يدور حول الناقلة الغارقة، حتى خرج من محيطها.

غير أن «بو عمير» قال: أعتقد أننا يجب أن نترك إشارة ما؛ فقد نحتاجها …

نظر له «باسم»، ثم أطلق سمكة صغيرة، تحمل جهاز استقبال دقيقًا، وظل يلاحظها على شاشة الرادار، حتى التصقت بجسم الناقلة، ثم انطلق بالزورق. وأراد أن يختبر السمكة التي أطلقها، فأرسل رسالة ضوئية إليها، لم تمضِ لحظة، حتى ارتدت الإشارة الضوئية، في شكل موجة، ظهرت على شاشة الرادار، هز «باسم» رأسه، ولم يتكلم.

استمر الزورق في انطلاقه … حتى إذا انتهت الساعات الأربع الأولى، قال «بو عمير»: هل أوقظهما؟ …

قال «باسم»: نعم. إنني أشعر بحاجة إلى النوم.

أسرع «بو عمير» إليهما فأيقظ «أحمد» أولًا، الذي قام من نومه مباشرة. ولم يكد يقف، حتى ألقى «بو عمير» نفسه مكانه، وهو يقول: أيقظ «مصباح»، وأرسل «باسم» مكانه …

أيقظ «أحمد» مصباح، الذي قام بسرعة هو الآخر، وتقدما حتى «باسم» الذي تسلم منه «أحمد» عجلة القيادة، فأخذ طريقه للنوم مباشرة.

قال «بو عمير»: ما رأيك في كوب من الشاي … هز «أحمد» رأسه مبتسمًا، فانصرف «بو عمير» لإعداد الشاي الذي كان ساخنًا في «ترمس» متوسط الحجم، غير أن «أحمد» لم يشرب الشاي، فقد اهتز الزورق بشدة، بينما كان «بو عمير» يحمل الكوبين، حتى إنه لم يستطع أن يحتفظ بتوازنه، فوقع منه الكوبان.

كان الاهتزاز عنيفًا، تبعه ما يشبه السحابة المحملة بالغبار، فأوقف «أحمد» الزورق … وانتظر. وظلت السحابة تنتشر، حتى غطت الزورق.

أضاء «أحمد» الكشافات العالية، فظهرت من بعيد فقاعات مائية كثيرة، ثم ظهرت أسماك كثيرة ميتة. فقال «أحمد» بصوت هادئ: يبدو أنها إحدى قذائف الأعماق … لا بد أن هناك شيئًا!

زاد «أحمد» من سرعة الزورق، ثم انطلق، ولم يمر وقت طويل، حتى سجل الرادار جسمًا متحركًا، يأخذ طريقه إلى الزورق، فقال «مصباح»: يبدو أنها قاذفة جديدة! …

ظلت الإشارة ثابتة فوق شاشة الرادار، لا تتقدم، فأوقف «أحمد» الزورق، ثم قال: إنها قذيفة موجهة، وسوف تتحرك في اتجاهنا في الوقت المناسب …

ترك عجلة القيادة لـ «مصباح»، ثم اقترب من جهاز إطلاق القذائف، وحدد المسافة التي يقع عندها الهدف، ثم ضغط زرًّا، فانطلقت قذيفة، كان الرادار يرصدها.

ظل «أحمد» يتتبعها على الشاشة، ثم فجأة، ملأت الرادار سحابة، غطت شاشته وكان واضحًا أنه أصاب الهدف.

رفع «مصباح» إصبعيه علامة الانتصار، إلا أن «أحمد» قال: ليست هذه هي المشكلة. لا بد أن هناك من يرصد تحركاتنا …

قال «مصباح»: لكننا ما زلنا بعيدين عن القاعدة البحرية العائمة!

أحمد: من يدري، قد تكون هناك نقطة حراسة مائية، بعضها في الأعماق، وبعضها على السطح. عمومًا ينبغي أن نكون حذرين …

بدأ الزورق يتحرك، وكانت كمية كبيرة من السمك تبدو معلقة في الماء، وكانت كلها ميتة نتيجة الانفجار. ازدادت سرعة الزورق، حتى بلغت أقصى سرعة فيه، وكان يشق الماء في قوة.

ظل «أحمد» يرقب الشاشة التي لم تكن ترصد شيئًا الآن، وقال «باسم»: إذا كانت هناك نقطة حراسة في الأعماق، فلا بد أن بها أجهزة ضد الرادار، وإلا فإنها سوف تظهر فوق شاشته!

فجأة، ظهرت بقعة سوداء صغيرة ثابتة، فقال «أحمد»: ها هي تظهر الآن، سوف ندخل في حالة صراع في الأعماق …

لم يرد «مصباح» فقد كان عليه أن يركز انتباهه مع اندفاع الزورق. وظلت المسافة تقترب، والبقعة السوداء تبدو أكثر وضوحًا، وفجأة … انطلق منها شيء، أخذ اتجاهه إلى الزورق، وفي لمح البصر، كان «أحمد» قد أخذ مكان «مصباح» وضغط عدة أزرار، جعلت الزورق يرتفع بسرعة. فلقد كان الشيء المنطلق عبارة عن صاروخ مائي. ارتج الزورق بشدة، فعرف «أحمد» أنه قد مر أسفله.

ظهر «باسم» وخلفه «بو عمير». سأل «باسم»: ماذا حدث؟ …

أخبره «أحمد» بما حدث، بينما كان الزورق مندفعًا بكل قوته. فقال «بو عمير»: يبدو أننا دخلنا منطقة الصراع …

ضغط «أحمد» أزرار الطفو، فظل الزورق يطفو، حتى أصبح فوق السطح، وكان ضوء الفجر يتسلل إلى الوجود، بينما كان سطح المحيط هادئًا، وكانت هذه فرصة للانطلاق.

نظر «مصباح» إلى العدادات الكثيرة في تابلوه الزورق ثم قال: إننا نقترب من المحطة …

فجأة، ظهر في الأفق زورق يشق سطح الماء، في قوة. أسرع «بو عمير» فرفع المنظار المكبر، وأخذ يرقبه، ثم قال، ولا تزال عيناه على الزورق المضاد: إنه يندفع في اتجاهنا. ينبغي أن نستعد …

لمعت لمبة صفراء في تابلوه الزورق، فعرف الشياطين أن هناك محادثة من مكان قريب، فرفع «مصباح» الميكروفون الصغير المثبت في التابلوه ثم بدأ الحديث:

من أنتم؟

باسم: نحن مجموعة من الأصدقاء!

الصوت: لماذا أنتم هنا؟

باسم: نحن في رحلة بحرية!

الصوت: ولماذا اخترتم هذه المنطقة بالذات؟!

باسم: إن المحيط متسع لأي إنسان!

الصوت: ينبغي أن تنسحبوا فورًا ...

باسم: لماذا؟!

الصوت: إنها منطقة خطرة ...

باسم: نحن نعلم ذلك!

قال الصوت الآخر، بما يشبه الصراخ: إنني آمركم أن تنسحبوا فورًا ... وإلا ...

كان الزورق المضاد يقترب، فقد كانت سرعة الزورقين مرتفعة. فجأة؛ توقف الزورق الذي أصبح واضحًا الآن جيدًا، وخفض «أحمد» من سرعة زورق الشياطين، حتى توقف هو الآخر، وترك عجلة القيادة «لمصباح» ثم أمسك بالميكروفون، يتحدث إلى الزورق.

أحمد: ما الذي تريدونه؟

أجاب الرجل: إنني أطلب منكم الانسحاب من هذه المنطقة، حتى لا تحدث أشياء أنتم لا تعرفونها ...

أحمد: يا سيدي، إن هذه المياه ليست ملكًا لأحد! كيف تطلب منا أن ننسحب؟

صرخ الرجل: سوف أعطيكم مهلة خمس دقائق، وبعدها ستكونون طعامًا لأسماك المحيط ...

لم ينطق «أحمد»: لكنه ترك الميكروفون ثم ضغط أزرار الغوص، بدأ الزورق ينزل إلى أعماق المحيط، في نفس الوقت الذي سجلت شاشة الرادار صورة صاروخ مائي يأخذ طريقه إليهم.

انحرف «مصباح» بالزورق بعيدًا عن مسار الصاروخ. وفي نفس اللحظة كانت شاشة الرادار توضح مكان الزورق والمسافة بينه وبين زورق الشياطين، فضغط «أحمد» زر الإطلاق، فاندفع صاروخ مزدوج من جوانب الزورق في اتجاه الزورق الآخر.

كانت أعين الشياطين فوق الشاشة ترى ماذا سوف يحدث، عندما قال «أحمد»: إننا فعلًا قد دخلنا منطقة الصراع!

شيطان في مأزق

كانت أعين الشياطين ترقب الشاشة، وترى انطلاق الصاروخ المزدوج. وفي أقل من دقيقة، كان الزورق الآخر يتطاير قطعًا صغيرة فوق شاشة الرادار.

تحرك زورق الشياطين، وقال «أحمد»: إن أمامنا حسب العدادات يومًا كاملًا حتى نصل إلى نقطة القاعدة البحرية. وهذا يعني أننا سوف نصل مع الصباح، غير أن هذا لن يكون مفيدًا لنا، فلا بد لنا من أن نصل عند بداية الليل ... أو أثناءه بل حتى قبل ظهور أول خيط ضوء، فإن ذلك يعطينا فرصة أكبر. والآن ... صَمَت قليلًا، ثم أكمل: إما أن نرفع سرعتنا حتى النهاية، وإما أن نبطئ سرعتنا حتى نصل في الموعد المناسب ...

لم يردَّ أحد من الشياطين مباشرة، لقد كان كل منهم يحسب حساباته، في النهاية قال «بو عمير»: أعتقد أننا لو وصلنا عند بداية الليل أو منتصفه فإن ذلك يعطينا فرصة أكبر؛ لهذا أرى أن نبطئ سرعتنا ...

باسم: إن بداية الضوء أفضل لنا؛ حيث إن لحظة شروق الفجر يكون الجميع نيامًا، وتكون الحراسة أقل ...

مصباح: إني من رأي «بو عمير»، إن الحراسة مشددة في كل الحالات بالتأكيد؛ ولذلك نصبح في حاجة للوقت. وبداية الليل، أو منتصفه ... يعطينا وقتًا أطول ...

استقر رأي الشياطين على أن تكون السرعة متوسطة، حتى يمكن أن يصلوا في الوقت المناسب عند بداية الليل، وفي نفس الوقت اقترح «باسم» إرسال رسالة إلى «خالد» ...

قام «بو عمير» وأرسل الرسالة. كانت تعني: «ماذا عندك؟ لماذا تأخرت رسالتك؟»

انتظر الشياطين رد الرسالة، وطال الوقت، دون وصول رسالة ما.

كان الزورق يسير في سرعته المتوسطة. وكانت أعين الشياطين ترقب كل الأجهزة في الزورق، التي كانت تعمل كلها. لقد كانوا جميعًا … يتوقعون أي هجوم خاطف، من أي اتجاه، لقد أصبحت المواجهة ضرورية الآن بعد أن ضرب الشياطين الزورق.

فجأة، دقت الأجهزة. كان هذا يعني إنذارًا بوصول رسالة ما. وتوقع الشياطين أن تكون رسالة من «خالد». أسرع «مصباح» إلى جهاز الاستقبال، وبدأ في تلقي الرسالة.

كانت الرسالة: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س». تحركت «البطة» من موقعها إلى النقطة «ب»؛ يجب الإسراع. تمنياتي بالتوفيق …

نقل «مصباح» الرسالة إلى الشياطين، فقال «أحمد»: هذا يعني أننا بسرعتنا هذه، سوف نصل في الوقت المناسب …

صمت الشياطين، وبدءوا يراقبون حركة الأسماك حولهم كانت هناك مطاردة بين سمكة كبيرة وسمكة صغيرة، وعلَّق «باسم» قائلًا: هناك صراع آخر في المياه.

ظل الزورق في انطلاقه بسرعته المتوسطة، ولم تكن شاشة الرادار تسجِّل شيئًا، كانت بيضاء تمامًا، غير أن «أحمد» قال: إنه ذلك الهدوء الذي يسبق العاصفة!

تساءل «مصباح»: هل تتوقع شيئًا الآن؟

قال «أحمد»: إنني أتوقع أي شيء، في أي لحظة! وصمت قليلًا، ثم أكمل: لهذا أفكر في الصعود إلى السطح …

باسم: إن ذلك يعرضنا للخطر!

أحمد: إن مقابلة الأخطار أسهل من انتظارها!

لم يكد يكمل جملته، حتى داس أزرارًا للطفو، وبدأ الزورق يطفو. ولم تمضِ دقائق حتى كان الزورق يستوي على سطح مياه المحيط الهادئة.

كانت الشمس قد بدأت تغطي سطح المحيط بأشعتها حتى أصبح يبدو كمرآة لامعة. وفي هدوء كان الزورق يتابع رحلته إلى حيث النقطة «ب» التي أصبحت أقرب كثيرًا من النقطة السابقة.

شيء ما لفت نظر «بو عمير» هو وجود كمية من اللون الأحمر، أخذت تنتشر حول الزورق، ظل يتأملها لحظة، ثم لفت نظر الشياطين إليها.

ترك «أحمد» عجلة القيادة لـ «مصباح» ثم فتح إحدى نوافذ الزورق، وبدأ يحدق في ذلك اللون الأحمر الذي أخذ يزداد. وما هي إلا لحظة حتى شاهد سطح الماء الهادئ ينقلب إلى حركات عنيفة، فعرف السبب. إن هذه طريقة جديدة للصراع.

إن هذا اللون الأحمر، هو نوع من الدماء، قد تكون مجهزة تجهيزًا علميًّا؛ ولأن سمك الحوت يحب الدماء، ويستطيع أن يشمها من مسافات طويلة؛ فإن الصراع يمكن أن يتحول من صراع إنسان لإنسان، إلى صراع مع الحيتان، غير أن هذه لم تكن مشكلة بالنسبة للشياطين.

نقل «أحمد» وجهة نظره إليهم فعلق «بو عمير»: إنها طريقة مبتكرة!

فجأة؛ ظهرت حول الزورق عشرات من أسماك الحوت الضخمة، ظلت تدور حوله، حتى أصبح معرضًا للخطر. رفع أحد الحيتان ذيله الضخم في الهواء، ثم نزل به على مؤخرة الزورق، إلا أن «مصباح» الذي كان يرقب كل ذلك، في مرآة عاكسة أمامه، رفع سرعة الزورق فجأة فطاشت الضربة، ونزل ذيل الحوت على سطح الماء، فأثار دوائر من الماء التي غطت الزورق تقريبًا.

أسرع «أحمد» فضغط زرًّا، جعل الحيتان تهرب مسرعة. لقد أطلق مجالًا كهربيًّا حول الزورق، وأصبح من المستحيل أن يقترب منه أي جسم حي؛ ولذلك، فقد ظهرت بعض الأسماك الصغيرة ميتة، تلك التي اقتربت من المجال الكهربي.

قال «باسم»: إننا ندخل في صراعات مبتكرة! ومن يدري، ماذا يمكن أن يحدث …

قال «بو عمير»: إن الشياطين يحبون الأشياء المبتكرة. دعك من الصراعات العادية …

فجأةً دوَّى انفجار هزَّ أعماق المحيط، حتى أثَّر على الزورق، فابتسم «أحمد» قائلًا: إنه قاذفة مائية دخلت المجال الكهربي فانفجرت. يبدو أننا نقترب أكثر من المنطقة النهائية للصراع!

ثم رفع ساعة يده ونظر فيها قائلًا: لا تزال أمامنا ست ساعات، حتى نصل إلى هناك …

غير أن جهاز الاستقبال الذي دق جعله يُسرِع إليه، وكانت هناك رسالة: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» البطة تتحرك أكثر. إنها في الطريق. ما الموقف عندكم؟

أرسل «أحمد» رسالة مطولة إلى رقم «صفر» يسرد فيها كل ما حدث، وعندما انتهى من إرسال الرسالة، جاءته رسالة أخرى من رقم «صفر»: أنتم عند خط النهاية الآن …

نقل «أحمد» الرسالتين إلى الشياطين، ثم أخذ مكانًا قريبًا من «مصباح»، وفكر قليلًا ثم قال: ما دمنا قد اقتربنا فإننا يجب أن ننزل إلى الأعماق. إن المرحلة الحرجة قد أوشكت على البداية …

فهم الشياطين ماذا يعني، وضغط أزرار الغوص، فبدأ الزورق يأخذ طريقه إلى الأعماق، لكنه ما كاد ينزل إلى منتصف المسافة حتى كانت هناك مفاجأة؛ لقد سجلت شاشة الرادار أجسامًا متعددة، تدور من بعيد.

فكر «أحمد» لحظة، ثم ضغط زرًّا ... فانسحب المجال الكهربي، من حول الزورق، وأخذت الأجسام تقترب من الزورق ... حتى استطاع «أحمد» أن يعدها، وكانت ثمانية.

كان الشياطين أيضًا يرقبون الموقف على الشاشة، وعلق «بو عمير»: يبدو أن القاعدة مزدحمة بالرجال ...

اقتربت الأجسام أكثر، حتى بدا أنها لا تتجاوز الأمتار، وضغط «أحمد» زر المجال الكهربي. وعلى الشاشة، ظهرت الأجسام تتلوى ... ثم أخذت طريقها إلى الأعماق في بطء.

ابتسم «مصباح» وقال: إنها مصيدة جيدة ...

نزل الزورق أكثر، حتى أصبح في القاع تمامًا، وأخذ يتقدم ببطء. وكان واضحًا أن الموقف أصبح حادًّا وأن انتظار أي مفاجأة مسألة متوقعة. كان الوقت يمر ببطء، غير أن الليل كان قد أوشك أن يقترب.

مرت ساعة وقال «أحمد»: أعتقد أننا ينبغي أن نقترب.

داس عداد المسافة، ثم قال: إن بيننا وبين القاعدة كيلومترًا واحدًا.

وجه عدسات السطح إلى أعلى، ثم بدأ يرقب، فعكست له العدسات ضوء الغروب. قال: إن العالم يُظلِم الآن. لقد بدأت الشمس تنسحب، هناك ضوء قليل، ثم يهجم الليل. لا بد أن نقترب من السطح، ثم نستعد لمغادرة الزورق ...

بدأ كل واحد من الشياطين يلبس ملابس الغوص، حتى إذا انتهى أولهم — وكان «بو عمير» — أخذ مكان «مصباح» الذي أخذ يلبس هو الآخر. ونظر «أحمد» في عدسات السطح، فتأكد أن الليل قد بدأ، وأن الظلام الآن يعطيهم الفرصة للحركة.

ثبَّت «بو عمير» الزورق في مكانه بواسطة مجال مغناطيسي، ثم بدأ الشياطين يغادرون الزورق الواحد بعد الآخر، وكانوا يبعدون عن القاعدة بمسافة نصف كيلومتر.

أرسل «أحمد» رسالة صوتية، ارتدت بسرعة، فخاطبه بقية الشياطين: إنها ليست نصف كيلومتر، إنها ربع كيلومتر فقط.

أخذوا يتقدمون في هدوء. وأخرج «أحمد» عدسة السطح، ثم مدها حتى سطح الماء، ونظر فيها، كانت تبدو القاعدة ضخمة جدًّا.

ظل يتقدم، والعدسة العاكسة لا تكاد تطفو فوق السطح، حتى لا يرقبها أحد، أو حتى لا يشك فيها، حتى إذا اقتربوا أكثر من القاعدة، سحَبَ العدسة، ثم أرسل برقيةً سريعةً إلى الشياطين: «إننا بعد دقيقتين، يمكن أن نصبح أسفل القاعدة تمامًا.»

تقدموا أكثر، ثم أخذوا يطفون إلى السطح، حتى اصطدمت أيديهم بأسفل القاعدة.

خاطبهم «أحمد» في جهاز الإرسال: سوف ننقسم قسمين. أنا و«بو عمير» سوف نكون في الطرف الشمالي و«مصباح» و«باسم» في الطرف الجنوبي. إلى اللقاء …

تقدم «أحمد» و«بو عمير» إلى الجانب الشمالي من القاعدة، حتى أصبحا عند حافتها، فصعدا حتى السطح. ثم توقفا، وهما يمسكان بحافتها.

كان جانب القاعدة مرتفعًا جدًّا حتى لا يمكن الصعود إليها إلا عن طريق سلم، فدارا حول القاعدة، بحثًا عن سلم بها، لكنهما لم يعثرا على شيء، فأخرج «أحمد» سلمًا رفيعًا دقيقًا، مغناطيسيًّا، ثم ابتعد قليلًا عن حافة القاعدة، وقذف بالسلم إلى أعلى، ثم انتظر، فقد التصق السلم بجانب القاعدة.

مرت دقيقة، ثم سمع حديثًا بين اثنين، قال الأول: إن وصول الكابتن «بال» بصحبة مستر «زوس» يدعو للقلق!

قال الآخر: إن مرور الناقلة بسلام قد أزعجهما، أليس كذلك؟

ابتعد صوت الرجلين. لقد كانت كلماتهما مؤشرًا إلى شيء، كان نفس الشيء الذي فكر فيه هو و«باسم». قال «بو عمير»: هل سمعت؟

بو عمير: نعم؛ إنني أتذكر الآن قولك أنت و«باسم».

قال «أحمد»: يبدو أننا سوف ننهي المغامرة هنا، ويبدو أن الأوامر تصدر من هذه القاعدة!

اختفى صوت الرجلين تمامًا. وأمسك «أحمد» بطرف السلم، ثم بدأ يصعد. كان «بو عمير» لا يزال في مكانه ينتظر وصول «أحمد»، حينما وصل «أحمد» إلى السطح، فنظر يمسح السطح كلَّه بعينيه، لم يكن هناك أحد، لكن لفت نظره بعض النوافذ المضاءة. أرسل رسالة سريعة إلى «بو عمير» الذي بدأ الصعود، ثم أرسل رسالة سريعة إلى «باسم» و«مصباح» يطلب فيها أن يصعدا.

عندما وصل «بو عمير» إلى منتصف السلم، كان «أحمد» قد تخطى حاجز القاعدة، وأصبح فوقها. كان السطح يسمح بالاختفاء، فقد كانت هناك أشياء كثيرة، مثل براميل، ولفات ضخمة من الحبال، وزوارق صغيرة … أسرع واختفى بين البراميل، ونظر إلى سطح القاعدة … كانت متسعة تمامًا، وفي نهايتها كانت تقف طائرة هيلوكوبتر.

قال «أحمد» في نفسه: لا بد أنها طائرة «زوس». وقفز إلى رأسه سؤال: «ترى، أين «خالد» الآن، ما دام كابتن «بال» هنا؟»

ظهر رأس «بو عمير»، في نفس اللحظة التي كان فيها أحد الحراس يقترب. ويبدو أن «بو عمير» لم يلحظ الحارس، فقد استمر في الظهور.

فجأة، توقف الحارس، ثم أطلق طلقة ... رنت في الصمت، واختفى «بو عمير» تمامًا، ثم سمع صوت ارتطامه بالماء.

الشياطين يقومون بالحراسة!

في نفس اللحظة التي أطلق فيها الحارس الرصاص، كان «أحمد» قد أطلق إبرة مخدرة أصابت الحارس، حتى اهتزت يده، عندما أطلق الرصاص، لكن الصوت كان هو البداية، ففي أقل من لمح البصر، كان سطح القاعدة قد امتلأ بالرجال. وفي لحظة الهرج التي حدثت، جلس «أحمد» بين لفات الحبال المرتفعة بينما كان يحمل مسدسه في يده، وعيناه على الرجال الكثيرين، الذين أخذوا يجرون في حالة جنون فوق القاعدة المتسعة. التف بعض الرجال حول الرجل الذي سقط، وأخذوا يقلبون فيه، لكنهم لم يجدوا شيئًا.

قال واحد منهم: يبدو أنه مُغمًى عليه! فلا يوجد أي أثر لطلق ناري، أو ضربة خنجر، أو أي شيء ...

رد آخر: لا بد أنه قد تصور شيئًا، فأطلق الرصاص ...

ظلوا يقلبون فيه، ثم حمله بعضهم واختفَوْا به ... في نفس الوقت، كان «مصباح» و«باسم» يلتصقان بجدار القاعدة دون أي حركة، لكن «مصباح» سمع ما جعله يفكر في النزول بسرعة ... لقد كانت أصوات الأقدام تقترب منهما، وحوار الرجال مسموعًا.

قال أحدهم: إن «سينكا» ضعيف الأعصاب، ولا بد أنه تخيل شيئًا. إن ليل البحر يعطي الفرصة للخيال، حتى يشرد ...

قال الآخر: لقد حدثت معي هذه المسألة مرة! كنت أنا و«باتي» نقوم بحراستنا الليلية، عندما رأيت بعض الرجال يقفزون فوق سطح الماء، قريبًا من القاعدة! ولم أفكر، فقد فتحت مدفعي الرشاش وانهلت على الرجال! ثم لا أدري ماذا حدث إلا عندما استيقظت! كنت أرقد في سريري! وقال الكابتن: لقد كان مرهقًا، وتخيل أشياء لا وجود لها ...

وأخذت الأصوات تبتعد، ثم تقترب ناحية «أحمد».

قال واحد: إن اجتماع الليلة سيكون حاسمًا، فإن مرور الناقلة في سلام يعني أن أعمال مستر «زوس» سوف تصاب بالكساد!

قال آخر: من يدري! ربما يكون هو نفسه خلف هذه المسألة!

وابتعدت الأصوات مرة أخرى، ثم أخذ الصمت يعود شيئًا فشيئًا، وإن كانت هناك بعض أصوات الأقدام فوق السطح، كان هذا يعني أن الحراسة لا تزال تأخذ دورها.

وعندما سكن كل شيء، زحف «أحمد» في هدوء، إلى حافة القاعدة، ونظر إلى أسفل في اتجاه السلم. وكان «بو عمير» يصعد في هدوء.

فكر «أحمد» لحظة، ثم أخرج جهاز إرساله الصغير، وأرسل رسالة إلى «مصباح» و«باسم»: علينا أن ننتهي منهم. الإشارة صفراء ...

رد «مصباح» بسرعة: نحن في الانتظار ...

ظل «أحمد» في مكانه، حتى بدأت رأس «بو عمير» تظهر. ثم نام «بو عمير» على حافة القاعدة، ثم انقلب في هدوء، حتى أصبح مُمدَّدًا بجوار «أحمد» الذي سأله: هل أصبت؟

رد «بو عمير»: لا، لقد قفزت قبل أن تصل إليَّ الطلقة!

زحفا معًا في اتجاه الحبال حتى اختفيا بينها، بينما كان الحراس يتبادلون الحراسة طوليًّا. ففي الوقت الذي يذهب فيه حارسان إلى المؤخرة، يكون الآخران عند المقدمة؛ ولذلك كان لا بد أن ينتقل الشياطين إلى نفس الاتجاهين.

أرسل «أحمد» رسالة إلى «مصباح»: «عليكما بالاتجاه إلى مؤخرة القاعدة. نحن سنذهب إلى المقدمة ...»

في نفس اللحظة التي بدأت فيها حركة «أحمد» و«بو عمير» كان «مصباح» و«باسم» يأخذان طريقهما إلى المؤخرة. وكان الصمت يغطي كل شيء، إلا من صوت ارتطام الأمواج الهادئة بجوانب القاعدة. ولقد استغرق الوصول إلى المكان المحدد وقتًا، فقد كان عليهم أن ينتظروا حتى يبتعد الحراس في الاتجاه العكسي ليتقدموا، وكانت مساحة القاعدة كبيرة.

وصل «أحمد» و«بو عمير» إلى مقدمة القاعدة، التي كانت خالية تمامًا. وأدركا على الفور أن اختفاءهم مسألة صعبة في هذا المكان. فنظر «أحمد» حوله، فوجد برميلًا ضخمًا، أشار إلى «بو عمير» ثم انسحبا في اتجاهه حتى اختفيا خلفه. كان البرميل يقع بعيدًا عن خط سير الحارسين، فأخذا يدفعانه في هدوء، شيئًا فشيئًا، حتى تحرك قليلًا، وعندما أخذ صوت الحارسين يقترب، نظر «أحمد» إلى «بو عمير» ثم أوشك أن يعطي الإشارة لـ «مصباح»، غير أن أحد الحارسين قال: ما هذا؟ يبدو أنني أشعر بالدوار!

سأل الآخر: لماذا؟!

قال الأول: انظر إلى البرميل، ألم يكن يتحرك!

غرق الآخر في الضحك، ثم قال: أخشى أن تكون قد أُصبتَ بالإجهاد. كيف يتحرك البرميل وحده؟

مرت لحظة، سكن فيها الصوت، وفكر «أحمد» بسرعة، لكنه قبل أن يصل إلى قرار، كان الحارس يقول: إنني أشك كثيرًا، فلست مجهدًا! يجب أن نقترب. يبدو أن «سينكا» كان على صواب!

أخذا يقتربان، وفي نفس اللحظة، زحف «أحمد» و«بو عمير» بسرعة في اتجاه لفات الحبال حتى اختفيا، بينما وصل الحارسان إلى البرميل وظلا يدوران حوله.

قال الأول، وكان اسمه «بول»: لا يوجد شيء!

قال الآخر، واسمه «باك»: لا يا «بول»، إنني متأكد أن هناك شيئًا!

بول: لا أظن! فمن الذي يستطيع أن يصل إلى هنا؟ لا بد أن يكون شيطانًا!

باك: إذن، ما الذي حرك هذا البرميل إلى هنا! إن البراميل كلها في مكان واحد!

بول: هذه مسألة عادية، تحدث دائمًا! لا تشغل بالك. هيا ... هيا ...

تحرك الاثنان وهما يأخذان طريقهما مبتعدين، وفي نفس اللحظة، تحرك «أحمد» و«بو عمير» في اتجاه البرميل، لكنهما لم يفكرا في نقله إلى مكان آخر، حتى لا يلفت نظر الحارسين. واستعد الاثنان إلى عودتهما، ثم أرسل «أحمد» رسالة سريعة إلى «مصباح»: انتظر الإشارة، هل أنت في وضع يسمح لك بذلك؟

رد «مصباح»: نعم ...

انتظروا جميعًا أن يقترب كل حارسين من المكان المطلوب بينما كانت أصوات أقدام الحراس تأتي متتابعة، وعندما اقتربت الأقدام أكثر، وضع «أحمد» يده على زر الإشارة حتى يعطي «مصباح» الإشارة الصفراء، لكن فجأة، جاءت رسالة من «مصباح»: «انْتَظِر لقد جلس الحارسان بعيدًا قليلًا. سوف أعطيك الإشارة ...»

انتظر «أحمد» بينما كان الحارسان عند «مصباح» يجلسان على حافة القاعدة يتحدثان، وظل «مصباح» و«باسم» في الانتظار، إلا أن الجلسة طالت ... وفكر «مصباح» بسرعة، ثم قرر أن يزحف إليهما، فأشار إلى «باسم» ثم أخذا يزحفان في هدوء، لكن حدث ما لم يكن في خاطرهما ... لقد كانت هناك علبة عصير فارغة، ملقاة بجوار الحافة وكان «مصباح» يجر رجليه، عندما اصطدمت بالعلبة، فأحدثت صوتًا، ثم جرت متدحرجة.

أسرع «باسم» إليها، فأمسك بها، إلا أن الصوت كان قد وصل إلى سمع الحارسين، فوقفا بسرعة، وانكمش «مصباح» و«باسم» ... ولم يتحرك الحارسان في بادئ الأمر، وقال أحدهما:

دوم: ألم تسمع شيئًا؟!

ليما: أظن أنني سمعت صوت شيء يتدحرج يا «دوم».

صمتا لحظة، وكان «مصباح» قد قرر قرارًا، فإذا تحركا تجاهه، فإنه سوف يعطي الإشارة ...

قال «دوم»: لعلها علبة فارغة، دحرجتها الرياح.

ليما: لا أظن ... فإن الرياح هادئة، ولا يمكن أن تحرك أي شيء، حتى ولا قشة.

دوم: ماذا تظن إذن؟

ليما: لعله ...

لم يكمل «ليما» كلامه، وتحرك من مكانه، فأرسل «مصباح» رسالة سريعة إلى «أحمد»: هل أنت مستعد؟ من الضروري أن نبدأ ...

جاء الرد: اللحظة ليست مناسبة، لكننا نستطيع ...

كان الحارسان في اتجاه «أحمد» قد ابتعدا قليلًا. فزحف «أحمد» و«بو عمير» في اتجاههما، في انتظار إشارة «مصباح».

وكان الحارسان عند «مصباح» قد اقتربا، عندما ضغط «مصباح» إشارة الضوء الصفراء التي لمعت عند «أحمد» ... وفي لمح البصر، كان الشياطين يطيرون في الهواء، كل اثنين في اتجاه، حيث يوجد الحراس، وانقضوا عليهم قبل أن يفكر أي منهم في شيء.

ضرب «أحمد» «بول» الذي كان قريبًا منه بمشط قدمه في وجهه، جعله يدور في الهواء، ثم يصطدم بـ «باك» الذي ضربه «بو عمير» ضربة عكسية. في نفس اللحظة، كان «دوم» يطير في الهواء، ثم يسقط قريبًا من «بو عمير» بعد أن ضربه «مصباح» ضربة خطافية.

اقترب الرجال من الشياطين، حتى أصبحت المعركة واحدة. أما الوحيد الذي كان لا يزال بعيدًا، فهو «باسم» الذي انفرد بـ «ليما»، فلوى ذراعه في قوة جعلته يئن، ثم يدور مع نفس الاتجاه، حتى سقط على الأرض، فعاجله «باسم» بضربة، جعلته يتمرغ على سطح القاعدة ... أسرع إليه، ثم أمسك برأسه، وضربه بقبضته ضربة جعلت رأسه يصطدم بالحافة الحديدية فيفقد وعيه.

وعندما أسرع ينضم إلى بقية الشياطين كانت المعركة لا تزال دائرة. إنهم الآن أربعة لثلاثة، فأمسك «مصباح» «بدوم» ثم دار به دورتين، وتركه فاندفع في اتجاه الماء، إلا أن «أحمد» أسرع إليه قبل أن يسقط، فأمسك بذراعه، وجذبه بقوة، جعلته يرتد، ثم تركه فاندفع في اتجاه البراميل، حتى اصطدم بها.

بينما كان «بو عمير» يشتبك مع «بول» الذي ضرب «بو عمير» في ساقه بحذائه الثقيل، حتى كاد «بو عمير» يصرخ من الألم. إلا أن «باسم» كان أسرع إليه قبل أن يضرب «بو عمير» ضربة أخرى، فضربه ضربة جعلته يتهاوى.

لم تستمر المعركة طويلًا، فقد انتهت بانتصار الشياطين. وعندما أصبح الحراس الأربعة ملقَيْن على سطح القاعدة، قال «أحمد»: يجب أن نتصرف بسرعة، على كل منا أن يلبس ملابس أحد الحراس.

أسرع الشياطين كلٌّ إلى أحد الحراس، فجرَّده من ملابسه، وبدأ في ارتدائها ... ثم أصبح أمام الشياطين أن يتخلصوا من الحراس.

قال «بو عمير»: إن أسرع طريقة هي أن نلقي بهم في الماء؛ حتى لا يشكلوا أمامنا أي عقبة ...

وفي لمح البصر كان الحراس الأربعة يأخذون طريقهم إلى مياه المحيط، ثم إلى أعماقه.

قال «أحمد»: فلنأخذ الآن أماكنهم.

أخذ «أحمد» و«بو عمير» الجانب الشرقي من القاعدة، وأخذ «مصباح» و«باسم» الجانب الغربي ... كانوا يدقون بأحذيتهم دقات لينة حتى لا تلفت نظر أحد. في نفس الوقت، إن عليهم أن ينتهوا من مهمتهم قبل أن يطلع النهار.

قال «أحمد» مخاطبًا «بو عمير»: سوف أتجه إلى سلم النزول حتى أرى ... لكنه توقف عن الحديث فجأة وقال: لقد فاتتني اللحظة، لا يهم ...

وبسرعة أخرج من جيبه السماعات الكبيرة، ثم ألصقها فوق سطح القاعدة الحديدي، وبدأ يستمع إلى الحديث الذي يدور داخل القاعدة.

في نفس اللحظة، كان «مصباح» قد فكر في طريقة مختلفة، يستمع بها إلى ما يدور. لقد أخرج جهاز إرسال على شكل «حشرة صغيرة» ثم وجَّهه إلى السلم النازل إلى أعماق القاعدة. وفي لمح البصر كان الجهاز قد اختفى. وبدأ «مصباح» يستقبل الرسائل التي يرسلها جهاز الإرسال.

لقد كان مكان كل منهما مختلفًا ... فبينما كان «أحمد» يستمع إلى أحاديث البحارة، كان «مصباح» يستمع إلى الحديث الأهم، ذلك الحديث الذي كان يدور بين «زوس» والكابتن «بال».

كان حديث البحارة يدور حول كيفية الحراسة فوق سطح القاعدة والناقلة التي مرت دون أن تصاب بانفجار كالعادة ... والرحلة القادمة ... ثم الاجتماع الذي يدور بين «زوس» و«بال». وهذا في النهاية ما لفت نظر «أحمد»، إلا أنه لم يستطع أن يحدد مكان الاجتماع. وكان عليه أن يمر على سطح القاعدة كله، بالسماعات المكبرة، حتى يلتقط كلمات «زوس» و«بال». وعندما فكر في ذلك، كانت رسالة سريعة قد وصلته من «مصباح» يخبره فيها بأنه يستمع إلى أحاديث «بال» و«زوس».

عرف «أحمد» أن الشياطين الآن يعرفون كل حركة يمكن أن تحدث في القاعدة، أو خارجها. ورغم أن «أحمد» لم يرد على رسالة «مصباح»، إلا أن الحديث الأخير للبحارة جعله يفكر بسرعة. لقد جاء وقت تغيير نوبة الحراسة.

نظر «أحمد» إلى «بو عمير» ثم نقل له حديث البحارة الأخير، وبسرعة، أرسل رسالة إلى «مصباح» يخبره فيها بتغيير نوبة الحراسة. فجأة ... سمعوا أصوات أقدام تقترب ... لقد كانت هي أقدام النوبة الجديدة، وكان على الشياطين أن يتصرفوا بسرعة.

متى تكون الضربة الأخيرة؟

أرسل «أحمد» رسالة سريعة بالشفرة إلى «مصباح»: «الإشارة خضراء ...»

رد «مصباح» بالمثل: إنها الحل الوحيد ...

أخذت أصوات الأقدام تقترب، فتفرق الشياطين كلٌّ في طرف، حتى تكون المسألة أكثر سهولة ... ظهر أول أفراد الحراسة، وكان الليل مظلمًا تمامًا، حتى لم يكن من الممكن أن يميز أحد شيئًا، وكان هذا من حسن حظ الشياطين، غير أن ما حدث، لم يتوقعه الشياطين. فعندما ظهر الحارس الأول، غمر أحد أطراف القاعدة بضوء البطارية التي يحملها وهو ينادي: «دوم»! أين أنت؟

كان الضوء قد تركز على ظهر «بو عمير» وأضاف الحارس: يبدو أن الجو بارد، حتى إنك قد انكمشت قليلًا!

ظل «بو عمير» في مكانه لا يتحرك، في نفس اللحظة، كان قد ظهر بقية الحراس، وفي يد كل منهم بطارية يضيء بها اتجاه.

أرسل «أحمد» رسالة إلى الشياطين جميعًا: «الإبرة المخدرة. الضوء ... أخضر ...»

وفي لمح البصر، ضغط «أحمد» زر الضوء، فلمع اللون الأخضر، والتفت الشياطين في وقت واحد، ورفع كل منهم مسدسه، وأطلق طلقة مخدرة، ما كادت تصيب الحراس حتى توقفوا لحظة، ثم تهاوَوْا جميعًا على سطح القاعدة.

أسرع الشياطين، كل إلى أحد الحراس، وما إن حمل كل منهم الحارس المكلف به، حتى كان قائد الحراسة الليلية يأخذ طريقه إلى السطح، نظر الشياطين إلى بعضهم، وأشار «أحمد» بسرعة إلى البراميل، فاتجهوا إليها مباشرة ... وفي هدوء، أنزل كل منهم حارسه داخل برميل، ثم تزاملا. سار «أحمد» و«بو عمير» معًا، وسار «مصباح» و«باسم» معًا إلى

حافة القاعدة، وكأنهم يقومون بالحراسة الليلية. وعندما وصل قائد الحرس إلى السطح، كان الظلام يُخفي كل شيء.

وقف القائد عند آخر درجة ثم نادى: «جاك» ... لماذا لم تنزل الحراسة السابقة؟ إن «ليما» و«دوم» و«باك» و«بول» لم ينزلوا إلى عنبر الحراسة!

لم يرد أحد من الشياطين، وطالت فترة الصمت حتى إن القائد قال: «جاك»! ألا تسمعني؟

كان الشياطين بعيدين عن مكان القائد، ولم يكن هناك حل، غير أن «باسم» قدم الحل بسرعة. فلقد تمايل قليلًا، ثم صرخ: آي. أمعائي، إن أمعائي تتمزق ... ثم تهاوى على الأرض.

أسرع الشياطين إليه، في نفس اللحظة التي أسرع فيها القائد إليهم جميعًا. لقد فهم الشياطين اللعبة التي لعبها «باسم»، ولم يكد يقترب القائد، حتى كان «مصباح» قد عاجله بضربة قوية، جعلته يئن، ثم ينحني، فانهال عليه بضربة أقوى جعلته يتهاوى، لكنه لم يسقط. وفي هدوء، كان «باسم» الملقى على الأرض قد ضربه في قدمه، فسقط.

في نفس اللحظة، كان بقية الشياطين يقفون في تحفُّز، في انتظار أن يظهر شيء جديد. مرت لحظة صمت، وكان قائد الحراسة لا يزال ملقى على الأرض.

قال «أحمد»: يجب أن نتخلص منه، وهناك الحراس الأربعة، فإن مفعول المخدر لن يستمر طويلًا ...

قال «باسم»: أظن أن مياه المحيط هي الحل الصحيح. إننا نتخلص من القوة الموجودة، شيئًا فشيئًا ...

انحنى «مصباح» و«بو عمير»، وحملا قائد الحراسة ثم اقتربا به من حافة القاعدة، وفي هدوء ألقيا به إلى المحيط. وبسرعة اتجه الشياطين إلى البرميل، وحمل كل منهم أحد الحراس، وفي هدوء أيضًا، كان الحراس الأربعة يأخذون طريقهم إلى مياه المحيط.

قال «مصباح»: لقد تركنا الموضوع الأهم! ثم أسرع إلى مكانه، وبدأ يتلقى رسائل جهاز التَّنَصُّت.

في نفس الوقت كان «أحمد» يتسمَّع إلى عنبر البحارة، وما يقال فيه. بينما وقف «بو عمير» و«باسم» يحرسان الموقف كله. ولم تمر لحظات حتى أرسل «مصباح» رسالة إلى «أحمد»: «إن «زوس» و«بال» سوف يأخذان طريقهما إلى السطح ...»

كانت هذه فرصة طيبة، يمكن أن يستغلها الشياطين. في نفس الوقت كان «أحمد» يرسل رسالة إلى «مصباح» فقد كان كل منهما في طرف: «إن هناك مجموعة حراسة خاصة، سوف تصحب «زوس» و«بال».»

بدأ الشياطين يستعدون. وكان من الواضح أن المرحلة المقبلة هي أصعب المراحل. ومرت الدقائق بطيئة تمامًا. كانت الرياح تهب في هدوء، ولم يكن هناك صوت يمكن أن يُسمَع.

فجأة، بدأت أصوات أقدام تقترب، فتَسَمَّع الشياطين لصوت الأقدام وهي تقترب ... ثم أشار «أحمد» إشارة سريعة إلى «مصباح» و«باسم» فاقتربا من السلم الموصِّل إلى السطح. وسأل: كم عددهم؟

قال «مصباح»: اثنان ...

ظل صوت الأقدام يقترب، ثم بدأت تصعد السلم. تَحفَّز «مصباح» و«باسم» لظهور أي شخص. توقف صوت الأقدام، فأرسل «أحمد» رسالة سريعة إلى «مصباح»: «بدأ البحث عن الحراس ...»

فجأة، بدأت أصوات كثيرة تُسمع داخل القاعدة، وبدأت أقدام كثيرة تجري هنا وهناك، ثم دوَّت في الليل صَفَّارةٌ متقطعة، وعرف الشياطين أنها صَفَّارةُ جمع البحارة، ولم يكن أمام الشياطين وقت للانتظار. أرسل «أحمد» رسالة شفرية بواسطة الدقات إلى الشياطين جميعًا: القفز إلى الماء ...

وفي أقل من لحظة، كان الشياطين ينزلقون على جوانب القاعدة إلى مياه المحيط. وعندما أصبحوا أسفلها، سحبوا السلالم، ثم اختفَوْا في الماء. كانوا لا يزالون بملابس الغوص، بعد أن خلعوا ملابس الحرس. وبسرعة، أخذوا طريقهم إلى أسفل القاعدة، واختفَوْا.

أخرج «أحمد» جهاز تنَصُّت مغناطيسي، ثم ألصقه بأسفل القاعدة ... وضبط زرًّا فيه. تحرك الجهاز آخذًا طريقه إلى جانب القاعدة، ملتصقًا به، وظل يصعد تبعًا للمسافة التي ضبطها «أحمد» حتى توقف قريبًا من السطح. كانت هناك حركة غير عادية فوق القاعدة ... أما أسفلها فكان «أحمد» يتابع كل ما يدور عن طريق جهاز التنصُّت.

كان الكلام الذي سمِعه «أحمد»: «أين الحراس؟» ورد واحد: سوف أتمم على قوة الحراسة الموجودة حالًا ...

عرف «أحمد» أن القوة تصطف، عندما سمع دقات الأحذية. ثم بدأ الحراس في نداءات العد، حتى إذا انتهوا، قال واحد منهم: أين الكابتن؟

رد آخر: لقد خرج منذ قليل للمرور على الحراسة.

قال الصوت الأول: إن الحراس ينقصون ثمانية! أين كشف الأسماء؟

مرت لحظات صمت، ثم بدأ صوت يقرأ الأسماء حتى نادى اسم «ليما»، فلم يرد أحد ... وكذلك عند أسماء «دوم» و«باك» و«بول». وقال واحد: لقد كانت هذه نوبة أول الليل!

وتتالت الأسماء، وعندما جاء اسم «جاك» لم يرد أحد ثم تتالت الأسماء، ولم يرد أحد عندما نودي على «نورث» و«داج» و«رست»، وقال صوت: إن هذه هي النوبة الثانية!

وقال قائد الحرس: لقد اختفوا جميعًا! «جليم»! تولَّ التمام؛ حتى أنزل عند الكابتن «بال»!

ورد «جليم»: تمام أيها الكابتن «ديد»!

بدأت أقدام الكابتن «ديد» تبتعد، حتى أصبحت خافتة تمامًا. كان «أحمد» ينقل للشياطين كل ما يحدث أولًا بأول، فقال: يجب أن نعرف ماذا يتم في غرفة القيادة، حيث يوجد «زوس» والكابتن «بال».

قال «بو عمير»: سوف أنتقل إلى المؤخرة، فهي دائمًا تقع هناك ...

وسبح «بو عمير» إلى مؤخرة القاعدة، ثم ألصق سماعة مكبرة أسفلها، وبدأ يستمع إلى الحديث الذي يدور هناك ...

ديد: لقد اختفى تسعة رجال! قائد حراسة الليل، والنوبة الأولى، والثانية ...

ومرت فترة صمت، ثم قال صوت: لا بد أن هناك شيئًا خطيرًا أيها الكابتن «بال»!

وعرف «بو عمير» أن الذي يتحدث هو «زوس».

ورد الكابتن «بال»: سوف أرى ذلك بنفسي يا سيدي.

بدأت أصوات الأقدام تتحرك، ونزع «بو عمير» السماعة، ثم سبح إلى الشياطين، ونقل إليهم ما سمعه. كان «أحمد» قد بدأ يلتقط أصوات أقدام الكابتن «بال» والكابتن «ديد». صعدت الأقدام إلى السطح، ثم جاء صوت كابتن «بال»: «ديد»! «زيث»! ...

«جليم»! ... «فورست»!

صمت صوت «بال» وبدأت هذه الأقدام تتجمع، ثم تأخذ طريقها في اتجاه جهاز التنصُّت المغناطيسي. أصبح الصوت واضحًا تمامًا. وقال «بال»: إن اختفاء تسعة من رجالنا يعني أن هناك عملية ما، حول القاعدة. وهذا يعني أنه لا بد من التصرف بسرعة. عليكم تجهيز فرقة غوص كاملة، لتمسح المنطقة حول القاعدة، وسوف أرسل زوارق الطوربيد فورًا، لتقوم بدورها ...

صمت «بال» قليلًا، ثم أكمل: «جليم»! أَرْسِل فرقة الغوص الخاصة، لتمسح المنطقة أسفل القاعدة، أرجو أن يتم ذلك في أقل من ربع ساعة ...

استمع الشياطين إلى هذه التعليمات، وبدءوا يتصرفون فورًا. أخذوا طريقهم إلى حيث يقف زورقهم. كانوا يعرفون أن مهمتهم قد اقتربت من النهاية، وأن عليهم أن يدخلوا المواجهة الأخيرة.

كانوا يسبحون في هدوء. ولم يكن هناك ما ينبئ عن أي تحرك قريب منهم، قبل نصف ساعة على الأقل، كان الوقت يمر ببطء، فما زال أمامهم ربع كيلومتر حتى يصلوا إلى الزورق. بدءوا يتخاطبون عن طريق الأجهزة الإلكترونية التي يحملونها.

قال «باسم»: ينبغي أن نبتعد عن المنطقة تمامًا الآن ...

مصباح: أعتقد أن العكس هو الصحيح. إن علينا أن نضرب ضربتنا قبل الصباح ...

بو عمير: ماذا لو أرسلنا رسالة إلى رقم «صفر»؟

كان «أحمد» يستمع إلى آرائهم، دون أن ينطق بكلمة. لقد كان يفكر في «خالد»، أين هو الآن؟ ولماذا لم يتصل بهم حتى هذه اللحظة؟

سأل «بو عمير»: إننا لم نسمع رأي «أحمد»؟

قال «أحمد»: عندما نصل إلى الزورق، علينا أن نكون أكثر سرعة قبل أن يصلوا إلينا. فلا بد أن تكون ضربتنا في القاعدة ذاتها ...

صمت الشياطين، وبدءوا يزيدون سرعتهم، ولم يمضِ وقت طويل، حتى ظهر الزورق، وعندما اقتربوا منه، وبدءوا يدخلون، كانت هناك رسالة. لقد كان جهاز الاستقبال يضيء إضاءات متقطعة، فعرفوا أنها رسالة هامة وسريعة.

أسرع «أحمد» إلى الجهاز وبدأ يتلقى الرسالة، ومع أول كلمة، ظهرت ابتسامة على وجهه، لاحظها الشياطين.

وقال «بو عمير»: من أين؟

ولم يرد «أحمد» بسرعة، لقد انتظر؛ حتى يستمع إلى الرسالة كاملة.

مفاجأة غير متوقعة!

انتظر «أحمد» قليلًا، بعد أن انتهت الرسالة. كانت أعين الشياطين مركزة عليه، وكانوا جميعًا في انتظار أن يقول كلمة. ولم يستطع «مصباح» أن يحتمل هذا الانتظار، الذي أحس أنه ثقيل، فقال: ماذا هناك؟

ابتسم «أحمد» وهو يقول: رسالة من «خالد» ...

ظهرت الدهشة على وجوه الشياطين، وصاح «باسم» و«مصباح»: أخيرًا!

نقل «أحمد» مضمون الرسالة إلى الشياطين، وكان عليهم أن يتحركوا فورًا إلى النقطة «س» التي حددتها رسالة «خالد» ... أسرع «أحمد» إلى عجلة القيادة، ثم أدار الموتور، ضغط أحد الأزرار أمامه، فانتهى المجال المغناطيسي حول الزورق، وأصبح حر الحركة. وفي أقل من دقيقة كان ينطلق بسرعة في اتجاه النقطة «س» التي لا تبعد كثيرًا عن جزر أزورس.

كانوا يشعرون بالتعب؛ ولذلك قال «أحمد»: عليكم أن تستريحوا قليلًا. إن أمامنا بعض الوقت. وسوف أستدعيكم في الوقت المناسب ...

قال «باسم»: أستطيع أن أبقى معك ...

أحمد: لا داعي لذلك. إن أمامنا مهمة شاقة، وسوف آخذ دوري في الراحة ...

انسحب الشياطين، وأخذ كل منهم مكانًا، فاستلقى فيه، وظل «أحمد» أمام عجلة القيادة. كان العمق الذي يندفع فيه الزورق لا يبعد كثيرًا عن السطح. ولم تكن هناك تيارات ونظر «أحمد» أمامه إلى الساعة، كانت تشير إلى الثالثة صباحًا، فقال في نفسه: سوف تنتهي المهمة مع الصباح ...

فجأة أضاءت لمبة حمراء. كانت رسالة من «خالد»: «تحرك الرأس الكبير، الموعد «ف» ...»

رد «أحمد»: التعليمات كما هي ...

استمر انطلاق الزورق. وكان «أحمد» يستعيد هذه المغامرة منذ بدأت، وكيف مرت أول ناقلة في سلام، عندما لمعت لمبة صفراء، فعرف أن هناك رسالة من رقم «صفر»، فبدأ يتلقى الرسالة: «خرجت العصافير. النقطة «س» ...»

رد «أحمد»: اللقاء هناك ...

ضغط زرًّا أمامه، فانطلقت موسيقى هادئة. إن كل الأمور على ما يرام الآن. إن خطة «خالد» ورقم «صفر» تحقق نجاح المغامرة، لكن خاطرًا قفز في رأسه فجأة: «هذا إن لم يحدث شيء جديد ...» ولم يستمر الخاطر في رأسه طويلًا، فقد جاءته رسالة جديدة من «خالد» جعلت الخطة تتغير تمامًا. كانت الرسالة: «الرءوس الصغيرة حول الرأس الكبير. الفارق ثلاث نقط ...»

عندما انتهت الرسالة، كان على «أحمد» أن يزيد من سرعته، وأن يستعد للخطوة الجديدة. نظر في الساعة، فوجد أنه لم يبقَ سوى ساعة واحدة فقط، فقال في نفسه: إنها تكفي حتى يرتاح الشياطين، ثم أُوقظهم.

لكنه فجأة سمع صوت «مصباح» يقول: هل هناك جديد؟ ...

قال: كان ينبغي أن تستريح!

اقترب «مصباح» حتى أصبح بجواره تمامًا، ثم قال: إن ربع ساعة تكفيني. تستطيع أن تنال بعض الراحة الآن ...

رد «أحمد»: لا يوجد وقت للراحة. إن هناك أحداثًا جديدة، علينا أن نقابلها!

أخبر «مصباح» بالرسائل التي جاءت من «خالد» ومن رقم «صفر». فقال «مصباح» على الفور: إذن أنت في حاجة إلى الراحة بعض الوقت. إننا لا نعرف كم عدد الرءوس الصغيرة التي سنقابلها ...

صمت «أحمد» قليلًا، ثم ترك مكان القيادة «لمصباح»، وأخذ طريقه إلى حيث «بو عمير» و«باسم». ألقى نفسه بجوارهما، وفي لحظة كان قد استغرق في النوم.

مرت نصف ساعة، عندما ضغط «مصباح» زرًّا أمامه، فتردد صوت جرس رقيق حيث يرقد الشياطين، فقفزوا جميعًا دفعة واحدة وأخذوا طريقهم إلى مقدمة الزورق. ما إنْ رآهم «مصباح» حتى قال: إننا نقترب من النقطة النهائية ...

نظر «أحمد» في الساعة ثم قال: ما زال باقيًا أمامنا نصف ساعة ...

مصباح: لقد رفعت السرعة، حتى نقطع الطريق عليهم ...

جلس الشياطين حول «مصباح» ولم تمر دقائق، حتى قال «بو عمير»: يجب أن نرسل موجات صوتية؛ لكي نعرف أين هم الآن بالضبط …

ضغط «أحمد» زرًّا، ولمعت فوق شاشة الرادار تلك الموجات الصوتية التي انبعثت في شكل دوائر متتابعة. ولم يمر وقت، حتى ارتدت تلك الموجات، فعرف الشياطين أنهم يقتربون من الهدف، وأن الرءوس الصغيرة تتقدم قريبة منهم.

رفع «مصباح» سرعة الزورق أكثر. وفجأة، ظهرت بقعة سوداء على شاشة الرادار، وظلت تقترب … ضبط «باسم» مؤشر الرادار حتى يحدد المسافة، واستعد الشياطين، بينما كانت البقعة السوداء تقترب أكثر.

وأخيرًا قال «مصباح»: إننا نسير أسفل الهدف تمامًا …

قال «أحمد»: يجب أن نطفوا بجواره …

ضغط «باسم» على أحد الأزرار، فبدأ الزورق يطفو، بينما كان الشياطين يتابعون شاشة الرادار، وعندما أصبح الزورق عند السطح تمامًا، استطاع الشياطين أن يرصدوا زورقًا يتقدمهم.

قال «مصباح»: إنه زورق الرءوس الصغيرة …

أحمد: علينا أن نكون أكثر حرصًا. إنهم يمكن أن يكشفونا …

ظل الزورق في تقدمه، بينما كان الرادار يسجل حركة الزورق الآخر، وظلت المسافة تتناقص. وبعد لحظات أمسك «أحمد» بميكروفون، ثم تحدث فيه، كان الصوت يتردد مرتفعًا في هدوء الليل. قال «أحمد»: إلى قائد الزورق وبحارته. يجب أن تستمعوا للنداء جيدًا …

مرت دقيقة. ثم استمع الشياطين إلى رد الزورق الآخر: إلى بحارة الزورق وقائده، ماذا تريدون؟

أحمد: نحن حرس الشواطئ. نأمركم بالوقوف …

لم يرد الزورق الآخر، لكن فجأة، دوَّت في الليل فرقعة عالية، نظر الشياطين إلى بعضهم، وقال باسم: إنها طلقة مدفع!

سلط «مصباح» كشافات قوية على الزورق، فأصبح واضحًا تمامًا.

وقال «أحمد» يحذرهم: لا داعي للصراع. إن هناك بعض المعلومات ينبغي أن نعرفها …

لم يرد الزورق الآخر فرفع «مصباح» سرعة الزورق، فاندفع الزورق الآخر.

قال «بو عمير»: إنها مطاردة لا نريد أن ندخلها …

أسرع إلى أجهزة إطلاق الصواريخ، وضغط أحد الأزرار، فانطلق صاروخ فوق سطح الماء، وكانت صورته تبدو على الرادار ... اقترب الصاروخ من الزورق حتى أصبح قرب مؤخرته، ثم تجاوزها إلى منتصفه، ثم إلى مقدمته وانفجر محدثًا دويًّا هائلًا، جعل الزورق يهتز، وكان «أحمد» قد أسرع عائدًا إلى الشياطين، فقال «بو عمير»: إنها حركة ناجحة ...

توقف الزورق الآخر، فاقترب منه زورق الشياطين حتى توقف بجانبه. وتحدث «أحمد»: أين القائد؟

رد أحدهم: إنه أنا! ماذا تريد؟

أحمد: التصاريح ...

قال الرجل: فليتفضل القائد ليرى التصاريح ...

تقدم «أحمد» إلى حافة الزورق الآخر، لقد كان يفهم تمامًا ماذا يريدون. رفع قدمه ليضعها على حافة الزورق فمد الرجل يده إليه، وأمسك «أحمد» بيد الرجل الذي ضربه فجأة ضربة قوية كادت أن توقعه في الماء، إلا أن «أحمد» الذي كان مستعدًا قفز وهو يسدد بيده الأخرى لكمة قوية في وجهه، فسقط الرجل في قاع زورقه، بينما كان الشياطين قد قفزوا جميعًا داخل الزورق الآخر. وقبل أن يتمكن الآخرون من الحركة أسرع «بو عمير» إلى قائد الزورق الملقى على الأرض ثم رفعه إلى أعلى وهوى به على حافة الزورق فصرخ الرجل ثم سقط في الماء.

في نفس الوقت كان «باسم» قد أمسك بأحد البحارة وضربه في قوة تاركًا إياه يندفع حتى يصطدم بأحد جوانب الزورق. وفي أقل من دقائق، كان بحارة الزورق يقفزون إلى الماء هربًا من تلك المفاجأة التي لم يكن يتوقعها أحد منهم.

أسرع «أحمد» إلى زورق الشياطين، وسلط الكشافات القوية على سطح الماء؛ وتحول المكان إلى نهار، لشدة الضوء. ووقف الشياطين يرقبون الأسماك الصغيرة، وهي تحاول أن تختفي في أعماق المحيط. ولم تمضِ دقائق، حتى دوى انفجار، جعل الأمواج ترتفع، وكأنها عاصفة رهيبة وارتفع عامود من الماء، جعل «أحمد» يصرخ: يبدو أن هناك أسماكًا أكبر ...

أسرع إلى خزان الدماء الصناعية وفتح الخزان، فانسابت الدماء إلى الماء، حتى صبغت سطح المحيط بلونها الأحمر. ثم سمِع الشياطين صراخ الأسماك الصغيرة التي ألقت بنفسها في الماء. لقد تحركت القروش عندما شمت رائحة الدم، وفي لحظات، كان بحارة العصابة قد تحولوا إلى عشاء شهي لسمك القرش الذي ملأ المكان. فقفز الشياطين إلى زورقهم

تاركين الزورق الآخر، وعندما بدأ تحركهم كانت هناك رسالة من رقم «صفر»: «النسور في الطريق ...»

لم تمضِ دقائق حتى سمع الشياطين أصوات طائرات الهيلوكوبتر تملأ سماء المحيط. لحظات، ثم تحول سطح المحيط إلى نهار بفعل الكشافات القوية، التي سلطتها الطائرات، وشاهد الشياطين باخرة ضخمة تتوسط المكان.

نزلت إحدى الطائرات على سطح الباخرة، واقترب الشياطين منها بسرعة. وفي أقل من لمح البصر كانوا فوق سطحها.

قال الضابط الذي نزل من الطائرة: أين السيد «زوس»؟ أجاب أحد البحارة: إنه في الداخل، يا سيدي ...

وفجأة، ظهر «زوس» وخلفه الكابتن «بال».

قال «زوس» بهدوء: هل هناك شيء؟

أجاب الضابط: هناك أمر بالقبض عليك ...

ظهرت الدهشة على وجه «زوس» وهو يقول: و«لماذا» يا سيدي الضابط؟ أظن أن هناك خطأ، إنني «زوس» صاحب شركة «أزورس» للنقل البحري!

قال الضابط: لهذا أقبض عليك ...

قال «زوس» بدهشة: هل هناك شيء ضدي؟!

الضابط: أظن ذلك يا سيدي!

رد «زوس» قائلًا: لا بد أنه خطأ غير مقصود!

فجأة، ظهرت الدهشة على وجه الشياطين، وكانت المفاجأة التي لم يتوقعوها. لقد ظهر «خالد» ... وحياهم بانحناءة من رأسه. وفي هدوء، اقترب من الضابط، وقدم له شريط تسجيل صغيرًا، وهو يقول: إنه يحمل الإدانة الكاملة للسيد «زوس» والكابتن «بال» يا سيدي. لقد سجلت عليه محادثاتهما، حول إغراق بواخر السيد «زوس» والاستيلاء على التأمينات الضخمة، التي شكت منها شركات التأمين ...

نظر «بال» إلى «خالد»، ولم ينطق بكلمة، بينما استسلم «زوس» للقبض عليه.

رفع الضابط يده بالتحية إلى الشياطين، ودعاهم لركوب الطائرة ... إلا أن الشياطين أبدو رغبتهم في أن يعودوا بزورقهم. وعندما ركبوا الزورق أطلقوا ١٣ طلقة تحية للشياطين بعد جمع شملهم.

هنـــداوي